دراسات

التعزيز الديني للاتجاهات الإيجابية في مجالات البيئة والتغير المناخي: الآفاق الممكنة والمحددات

الأستاذ الباحث

ابراهيم خرايبة

Received :19 / 9 / 2024
Revised: 29 / 9 / 2024
Accepted: 6 / 10 / 2024
Published: 1 / 11 / 2024

ابراهيم غرايبة
باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية
الجامعة الأردنية
Ibrahim.gharaibeh56@gmail.com

التعزيز الديني للاتجاهات الإيجابية في مجالات البيئة والتغير المناخي: الآفاق الممكنة والمحددات

Religious reinforcement of positive trends in environmental and climate-change fields: Prospects and limitations

الملخص

تسعى الدراسة إلى تقدير الفرص الممكنة والمحددات المحيطة بالتعزيز الديني للسياسات الإيجابية في البيئة والتغير المناخي بمنظور وأدوات علم اجتماع الدين، واستخدام المنهجية التي تحاول الدراسة أن تصف وتحلل القيم والتطبيقات الإيجابية في المصادر والتجارب الدينية، ومدى إمكانية أن يساعد استحضار القيم والتوجيهات الدينية، وكذلك المعالجة المنهجية للنصوص والتراث في ترشيد الاتجاهات وأنماط السلوك والحياة باتجاه حماية البيئة وإدارة الموارد والطبيعة.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها أن إدارة حماية البيئة تخضع لسياسات اجتماعية محددة باتجاهات تشريعية وسلوكية وأخلاقية، إذ أنه برغم الحضور الديني الكبير اليوم فإنه يلاحظ سلوك ضار بالبيئة لم يوقفه التدين. ذلك أنها توجيهات ليست "مقدسة". بمعنى أن مخالفها يشعر بالإثم ويستحق العقاب، فالالتزام الديني لا يشكل حلولا تلقائية لأزمات البيئة والتغير المناخي، لكن التوجيه الديني يكون مفيدا ومهما في سياق سياسات وبرامج اجتماعية اقتصادية وعمليات تنظيم اجتماعي ملائمة. إذ ينشئ دوافع ذاتية وحوافز

إضافية للالتزام بالسياسات والتشريعات البيئية وتفعيلها وإنجاحها، فالالتزام الطوعي والحماس الفكري والثقافي للاتجاهات والسياسات يجعلها أكثر فاعلية وتأثيرا، ويقلل من نفقات جهود تطبيقها ومواجهة الانتهاكات والأضرار، كما أنها تجعل من الأنشطة الضارة بالبيئة تواجه معارضة دينية وأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الدين والبيئة، علم اجتماع الدين، التنظيم الاجتماعي، العمل الاجتماعي.

Abstract:

The study seeks to estimate the possible opportunities and determinants surrounding religious reinforcement of positive policies in the environment and climate change with the perspective and tools of the sociology of religion**,** and using Methods that the study attempts to describe and analyze the positive values and applications and experiences in religious sources, and the extent to which invoking religious values and directives, as well as the systematic treatment of texts and heritage, can help rationalize trends and patterns of behavior and life towards protecting the environment and managing resources and nature.

The study found that the Management of Environmental Protection is subject to specific social policies with legislative, behavioral and ethical trends, as despite religious presence today, behavior harmful to the environment is observed that has not been stopped by religiosity. Because they are not “sacred” directives. Meaning that the violator feels sinful and deserves punishment. Religious

commitment does not constitute automatic solutions to environmental crises and climate change, but religious guidance is useful and important in the context of appropriate socio-economic policies and social organizing processes.

Key words: ecology, religion and environment, sociology of religion, social organization, social work.

مقدمة

يسهم الدين في تشكيل العلاقات الحيوية بين الإنسان والبيئة والأرض والعالم. وتتضح الرؤية العالمية الأكثر شمولا بالعلاقة المتبادلة للحياة إلى جانب الاستجابة الاخلاقية للاهتمام بالحياة من أجل أجيال مستقبلية. وينظر إلى الديانات بوصفها مصدرا لتوجه واسع نحو الأكوان والأدوار الإنسانية فيها، ومن ثم تشكلت الاتجاهات نحو الطبيعة لطريقة دالة إن لم تكن حصرية عن طريق الرؤى الدينية طوال آلاف السنين في ثقافات كثيرة حول العالم. في هذا السياق يمكن فهم الديانات بوصفها وسيلة يميز بها الإنسان حدود الواقع الظاهري ملتزما بممارسات خاصة للتأثير في التغيير الذاتي وتربط المجتمع في سياق كوني.(١)

بدأ المختصون في مجال البيئة يقرون بأهمية الأديان بوصفها مخازن رئيسية من القيم الحضارية العميقة ومحفزات لا غنى عنها في التحول الأخلاقي فيما يتعلق بالاستهلاك واستخدام الطاقة وحماية البيئة. وقد أصدر المنتدى العالمي في موسكو (١٩٩٠) بيانا يدعو إلى التعاون مع القيادات الدينية وعامة الناس والمؤسسات؛ وذكر البيان الحاجة إلى دفعة حيوية من رؤية تنبثق من الأطر المقدسة. ووقع أكثر من ألفي عالم؛ بينهم مائتان حائزون على جائزة نوبل في عام ١٩٩٢ على وثيقة تشير إلى طلب المساعدة من المجتمع الديني. وتوالت الدعوات الدينية والروحية لأجل البيئة على نحو كثيف؛ ريو ١٩٩٢، كيوتو ١٩٩٣، وفي عام ٢٠٠٠ نظمت الأمم المتحدة تجمعا تاريخيا شارك فيه أكثر من ألفي قائد ديني. وظهر بشكل مميز جهود قادة دينيين مثل الدلاي

لاما، والراهب البوذي الفيتنامي تيتش نهات هانه (Thich Nhat Hanh) وكبير الأساقفة الانجيليين روان وليامز، ورئيس المجلس الوطني للكنائس روبرت إدغار، وبطريرك الروم الأرثوذوكس بارثولوميو، ووقّع قادة دينيون على وثيقة نداء مشترك بين القادة الدينيين المشاركين في قمة قادة الأديان من أجل التغير المناخي، والتي عقدت في الفاتيكان، تمهيدا لمؤتمر الأمم المتحدة السادس والعشرين لتغير المناخ. وتضمن النداء المشترك الذي أطلقه القادة الدينيون رسالة إلى المشاركين في مؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ «COP26» والذي عقد بمدينة غلاسكو بإسكتلندا، بضرورة تقديم حلول ملموسة لإنقاذ كوكب الأرض من «أزمة بيئية غير مسبوقة»، والعمل بجد نحو تفعيل سبل التضامن بين الدول النامية والدول الأكثر تقدما للحد من مخاطر التغير المناخي، وتفعيل القيم الأخلاقية المشتركة في كافة الأديان للتصدي لهذه الأزمة الملحة [٢]

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحاول الدراسة أن تجيب على الأسئلة التالية:

١. كيف يسهم استخدام وتفسير النصوص والقيم الدينية في مواقف البشر تجاه البيئة؟
٢. كيف يمكن أن يشارك الدين في صياغة موقف أخلاقي قائم على تقدير الطبيعة، وكيف يضع المتدينون الأسس الأخلاقية لحماية الأرض من أجل المستقبل؟
٣. كيف يمكن للقيم والممارسات الدينية أن تعزز العلاقات المتبادلة بين الإنسان والأرض؟
٤. ما التحديات التي تواجه الخطاب الديني تجاه البيئة؟ وما حدود الإسهام الديني الإيجابي في مجالات البيئة والتغير المناخي؟ كيف تؤثر اتجاهات وممارسات دينية مثل الجمود والتعصب وصعوبة تغيير الأعراف والتقاليد المرتبطة بالدين والثقافة، وبعض الممارسات والطقوس في الإضرار بالبيئة؟

منهجية الدراسة:

تتبع الدراسة في محاولة التعرف على الاتجاهات والسياسات البيئية التي تعمل عليها الأمم، وفحص إمكانية المساهمة الدينية منظومة منهجية وصفية تحليلية نقدية وتأويلية.

منهج وصفي للتعرف على موضوع البيئة والتغير المناخي وما يمكن ويجب عمله لمواجهة التحديات البيئية والمناخية. ومنهج تحليلي لتقدير الأثر الممكن للدين في العمل البيئي والمناخي. ومنهج تأويلي (هيرمينوطيقي) يحاول أن يستوعب المصادر والنصوص الدينية وفق الاتجاه العالمي السائد لحماية البيئة والمناخ. ومنهج نقدي يختبر فرص وإمكانيات المشاركة الدينية الإيجابية في مجالات البيئة والمناخ، ويحاول أن يكتشف التحديات التي تواجه الدور الديني في البيئة.

أهمية الدراسة:

تقدم الدراسة تصورا للفرص الإيجابية الممكنة للخطاب الديني في تعزيز السياسات البيئية، وتعرض أخيرا تحديات الخطاب والدور الديني في البيئة. وفي ذلك فإنها تعتمد أساسا في البحث والتحليل على تقدير واقع العمل البيئي كما اجترحته الدول والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة، ثم الانتقال بهذا الفهم للواقع إلى الخطاب الديني بما هو المعالجة المنهجية للنصوص الدينية اعتمادا على مصادره الأولية والأساسية ومحاولة التقدير والاقتراح للتصور الديني الإيجابي الممكن في مجالات البيئة على أساس قاعدة "من الواقع المتعين إلى النص الديني" وليس العكس.

هدف الدراسة:

يدرك الباحث ابتداء أن قاعدة "من الواقع إلى النص" وإن كانت قادرة على العمل تأويليا وتحليليا فإنها تقلل من قداسة المشاركة الدينية في البيئة بخلاف القاعدة المعاكسة "من النص إلى الواقع" التي يمكن أن تحول العمل الديني البيئي إلى مفهوم وسلوك مقدس يزيده التزاما وتماسكا. لكن أيضا هناك صعوبات وتحديات كثيرة تعمل ضد هذه القاعدة وبخاصة في مرحلة فكرية وفلسفية جديدة تؤثر جوهريا في الدين والمقدس. وعلى أي حال فإن الدراسة بما هي في حقل علم اجتماع الدين؛ فإن الباحث ملتزم بالنظر إلى الخطاب الديني موضوعا سوسيولوجيا يحاول فهمه بأدوات ومناهج وفلسفة علم الاجتماع التي تفترض ابتداء أن مصدر المعرفة بالظاهرة وتحليلها هي

عمليات عقلية يجب أن تكون قابلة لإثبات خطئها كما صوابها. ويجب ألا يؤثر الموقف من الدين إيمانا أو معارضة في البحث والتقدير.

مصادر الدراسة

نشأت في مجال البيئة والتغير المناخي منظومة واسعة من التقارير والدراسات والمؤتمرات والسياسات والمؤسسات المتخصصة، فالعالم يولي هذه القضية أهمية كبرى، أما في مجال الخطاب الإسلامي البيئوي فإن الدراسة سوف تسعى في استيعاب النصوص والمبادئ والتطبيقات الدينية في حالتها الأولية العامة ثم محاولة معالجتها وإعادة قراءتها لأجل بناء تصورات واقتراحات ممكنة ومنسجمة مع الوجهة العالمية لحماية البيئة وحق الناس جميعا في حياة آمنة خالية من التلوث والأمراض والأزمات الناشئة عن الخلل البيئوي. سوف تستوعب الدراسة أيضا الدراسات الإسلامية والدينية في هذا المجال .

وهناك قواعد ونصوص في التراث الديني الإسلامي حول النظافة ومواجهة الهدر والإسراف والتبذير وحماية حياة الكائنات الحية والمرافق والأمكنة والحفاظ عليها، وبناء المقاصد العامة للشريعة الإسلامية حول العدل والمصالح والاحتياجات الأساسية للحياة والجماعات والأفراد، كما يوجد توجيهات نصية وتطبيقات حول الماء والطاقة والطعام والمرض والدواء والمنفعة والضرر والحق والخطأ والصواب والقبيح والحسن. وسوف تحاول الدراسة استيعاب هذه الحالات في بناء محتوى يقدم معالجة منهجية ومعاصرة وملائمة لتحديات البيئة والتغير المناخي القائمة اليوم.

دراسات سابقة

شغل موضوع الدور الديني في البيئة كثيرا من المؤسسات والباحثين، ويشير كتاب أكسفورد - المرجع في سوسيولوجيا الدين إلى عشرات الدراسات والكتب في هذا المجال، يمكن تصنيفها في دراسات سوسيولوجية وأخرى لاهوتية. هناك في اللغة العربية عدد من الكتب والدراسات في مجال الإسلام والبيئة، جميعها تنطلق من منظور ومناهج دينية، بالنظر إلى البيئة موضوعا دينيا أو فقهيا، وليس قضية اجتماعية اقتصادية

مرتبطة بالتحولات التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية. ومن هذه الكتب والدراسات دراسة محمد جابر قاسم: التربية البيئة في الإسلام. تقدم الدراسة المفهوم الإسلامي للبيئة وكما يقول الباحث فإن هذا المفهوم موجود ابتداء في الإسلام باعتباره نظاما شاملا لكل جوانب الحياة كما تؤكد الآية القرآنية "ما فرطنا في الكتاب من شيء" [٣] والحديث النبوي "تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدا" (رواه مسلم والترمذي)، ولم تكن مشكلات التلوث البيئي كما يؤكد الباحث إلا بسبب الابتعاد عن الإسلام. [٤]

وتقدم دراسة الغالبي وكاظم ما تصفه بالمنهج الإسلامي لمواجهة التلوث الكيماوي انطلاقا من أن الإسلام خاتم الرسالات وقد وضع الحلول والقوانين التي تكفل حفظ التوازن البيئي، فقد حرص الإسلام على إنشاء تصور خاص بنظام خاص ومجتمع خاص تكون بيده القيادة البشرية، تتشكل بنموذج وفق قواعد ثابتة لا تتغير بتغير المكان والزمان.[٥] وتتناول دراسة الشلش [٦] رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة، دراسة في الواقع الفلسطيني، جامعة النجاح) رؤية الإسلام ومنهجه في الحفاظ على البيئة ومدى القدرة على تنفيذ هذه الرؤية في البيئة الفلسطينية انطلافا من اهتمام الإسلام بالبيئة اهتداء بالآية القرآنية "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" [٧] وتبين دراسة القضاة توجيهات السنة النبوية في المحافظة على صحة الإنسان وحياة الكائنات الحية من خلال البيئة المائية وحمايتها من التلوث بدراسة الأحاديث النبوية المبينة لحماية الماء من التلوث كاشتراط وجوب طهارة الماء لرفع الحدثين الذي تصح بها العبادات. [٨] ويتناول بحث نادي عبدالله محمد سلوك التعامل مع الماء من زاوية تتصل بالسلوك الإنساني المستمد من التوجيه الإسلامي، ويتضمن كيف تعرضت السنة النبوية للمشاكل البيئية والدعوة للمحافظة على الماء، وآداب شرب الماء وتوفيره لمن يحتاج إليه. [٩] ويحاول القرضاوي أن يجيب على سؤال ما موقف الدين بعامة والإسلام بخاصة من قضايا البيئة؟ ويؤكد أن رعاية البيئة متصلة بالعلوم الإسلامية وليست دخيلة عليها.[١٠] وينطلق العوضي من النصوص الدينية والتجارب التاريخية ليقدم موقفا دينيا إسلاميا من

قضايا البيئة. (١١) وحدد جمعة سؤالا محوريا انطلق منه في كتابه، وهو هل يمكن أن تكون مبادئ الإسلام أساسا لنهضة حديثة؟ ومضى في خطوات منهجية تقليدية في البحوث الدينية، وهي التأصيل ثم التطبيق، والتدرج من الكلي إلى الجزئي، والعكس أيضا؛ من الجزئي إلى الكلي. (١٢) ويحاول الجيوسي وضع تصور لنموذج جديد للاستدامة من وجهة نظر إسلامية. واسترشادا بمبادئ العدالة ومواجهة الفساد والتكافل والتضامن ورأس المال الاجتماعي.(١٣) وتهدف دراسة أبو النور إلى الكشف عن أنماط المشكلات البيئية التي تعاني منها البيئة الحضرية والتعرف على دور الوعي الديني والبيئي في الحفاظ على البيئة (١٤) وقدم المشاركون في مؤتمر الديانات السماوية والتغير المناخي أدلة من النصوص الدينية لأجل التأسيس اللاهوتي لتحفيز العمل الإيجابي للبيئة ومعالجة مشكلاتها. وقد اقترح ثمانية مبادئ للبيئة ثم قدمت الاستشهادات الدينية حولها، وهي: للكون قيمة في حد ذاته وليس فقط لخدمة وتلبية احتياجات البشر. هناك استمرارية كبيرة للوجودبين كافة الكائنات الحية البشرية وغير البشرية، على الرغم من أن للبشر دورا مميزا؛ لكن بدون البشر فإن هذه الاستمرارية يمكن أن تكون محسوسة. الكائنات غير البشرية مهمة لله وللنظام الكوني، ولها علاقة فريدة مع الله ومكانة خاصة في النظام الكوني. اعتماد الحياة البشرية كليا على البيئة الطبيعية المحيطة بها توجب الاعتراف بها في الطقوس الدينية . المعايير الأخلاقية مثل العدالة والرحمة والمعاملة بالمثل تنطبق على البشر وغير البشر، ورفاهيتهم مرتبطة بشكل لا ينفصم. هناك إستخدامات شرعية وغير شرعية للطبيعة. الجشع والتدمير مرفوضان بينما ضبط النفس والحماية يستوجبان الثناء. البشر ملزمون بأن يكونوا على دراية بالمسؤولية والعيش في وئام مع العالم الطبيعي ومسؤولين عنه، ويجب عليهم إتباع ممارسات معينة تحددها دياناتهم. (١٥)

مدخل نظري ومفاهيمي لموضوع الدين والبيئة

١- مفاهيم عامة وأساسية في البيئة والتغير المناخي

أ. البيئة

تعرف الموسوعة البريطانية البيئة (environment) بأنها مجموعة العوامل الفيزيائية والكيميائية والأحيائية التي تعمل على كائن حي أو مجتمع بيئي وتحدد في النهاية شكله وبقاءه.[١٦] ويعرفها قاموس كامبريدج بأنها المنظومة والأوضاع المحيطة والمؤثرة بحياة الإنسان والحيوانات والنباتات، مثل الأرض والماء والهواء. [١٧]

يتصل بمفهوم البيئة ايضا موضوعات وقضايا مثل المناخ والغلاف الجوي والغلاف المائي، والعلاقة بين النظم والمكونات الرئيسية للبيئة والنظم الإيكولوجية الرئيسية للأرض، والتغيرات البيئة التي حدثت خلال تاريخ الأرض، والمخاطر على البيئة والحياة والحفاظ على الموارد الطبيعية. وتشكل "البيئة الطبيعية" المفهوم السائد للبيئة بما هي تشمل جميع الكائنات الحية والعناصر غير الحية على كوكب الأرض، مثل الهواء والتربة والبحار والمحيطات والماء والظواهر الجوية والمناخ والطاقة إضافة إلى الكائنات الحية والموارد الطبيعية.

ب. التلوث

تعرف الموسوعة البريطانية التلوث (pollution) بأنه إضافة أي مادة (صلبة أو سائلة أو غازية) أو أي شكل من أشكال الطاقة (مثل الحرارة أو الصوت أو النشاط الإشعاعي) إلى البيئة بمعدل أسرع مما يمكن تشتيته أو تخفيفه أو تحلله أو إعادة تدويره أو مخزنة في شكل غير ضار.[١٨] ويعرفه قاموس كامبريدج بأنه "الأضرار التي تلحق بالماء والهواء وما إلى ذلك من المواد أو النفايات الضارة" [١٩]

تغير المناخ

تعرف الموسوعة البريطانية تغير المناخ (climate change) بأنه التغير الدوري لمناخ الأرض الناتج عن التغيرات في الغلاف الجوي وكذلك التفاعلات بين الغلاف الجوي والعديد من العوامل الجيولوجية والكيميائية والبيولوجية والجغرافية الأخرى داخل نظام الأرض. الغلاف الجوي عبارة عن سائل ديناميكي يتحرك باستمرار. تتأثر كل من خصائصه الفيزيائية ومعدل حركتها واتجاهها بمجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك الإشعاع الشمسي، والموقع الجغرافي للقارات، وتيارات

المحيطات، وموقع واتجاه سلاسل الجبال، وكيمياء الغلاف الجوي، والنباتات التي تنمو على سطح الأرض. وغالبًا ما يتم تعريف المناخ على أنه متوسط الطقس في مكان معين، بما في ذلك ميزات مثل درجة الحرارة وهطول الأمطار والرطوبة والرياح.[٢٠] ويعرفه قاموس كامبريدج "التغيرات في مناخ الأرض، وبخاصة ازدياد دفء الأرض نتيجة للنشاط البشري الذي يزيد مستوى ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي"[٢١]

يعني "تغير المناخ " حسب اتفاقية الأمم المتحدة بشأن التغير المناخي لعام ١٩٩٢ تغيراً في المناخ يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري الذي يفضي إلى تغير في تكوين الغلاف الجوي العالمي والذي يلاحظ بالإضافة إلى التقلب الطبيعي للمناخ على مدى فترات زمنية متماثلة. وعرفت الاتفاقية "الآثار الضارة لتغير المناخ " بأنها التغيرات التي تطرأ على البيئة الطبيعية أو الحيوية جراء تغير المناخ والتي لها آثار ضارة كبيرة على تكوين أو مرونة أو إنتاجية النظم الإيكولوجية الطبيعية والمسيرة أو الاقتصادية أو على صحة الإنسان ورفاهه. [٢٢]

ج. الانثروبوسين - التأثير البشري على البيئة والتغير المناخي

حسب تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية فإن مصطلح أنثروبوسين يعكس تأثيرات بيئية للثورة الصناعية بدءا بالقرن ١٩ وغيرت بعمق الحياة والموارد والمدن وعلاقة الإنسان بالبيئة والكائنات الأخرى، ويعتقد علماء البيئة أننا نشهد نهاية عصر الهولوسين الجيولوجي المستمر منذ ١٢ ألف سنة بعد نهاية العصر الجليدي الأخير. وأننا دخلنا منذ المرحلة الصناعية في عصر "الانثروبوسين"حيث يؤثر البشر على نحو غير مسبوق في التأثير على الطبيعة والبيئة المحيطة. [٢٣]

٢- التأثير البشري على البيئة والمناخ: الأزمة والحلول

يعتبر إعلان الأمم المتحدة ١٩٧٢ في استوكوهولم مؤسسا للسياسات العالمية بشأن الحفاظ على البيئة البشرية وتعزيزها، وقد حددت اتفاقية الأمم المتحدة بشأن تغير المناخ [٢٤] مجموعة من المفاهيم والمبادئ الأساسية لمواجهة التغير المناخي، وكان

اتفاق باريس (٢٠١٥) الأكثر أهمية في بناء سياسات عالمية ووطنية لمواجهة تغير المناخ.

لقد أصبح تغيّر المناخ تحديا ملحا على رفاه الناس في جميع البلدان. وأولت الأمم المتحدة والبنك الدولي المخاطر المناخية أهمية كبرى. تقوم اتفاقية [٢٥] على اعتراف الدول والمنظمات الموقعة على الاتفاقية بأن التغير في مناخ الأرض وآثاره الضارة تمثل شاغلاً مشتركاً للبشرية، وما تؤدي إليه هذه الزيادات في درجة حرارة الأرض من استفحال ظاهرة الدفيئة الطبيعية وما يسفر عنه ذلك بصفة عامة من احترار إضافي لسطح الأرض والغلاف الجوي ويمكن أن يؤثر تأثيراً سلبياً على الأنظمة الإيكولوجية الطبيعية وعلى البشرية. ويمثل اتفاق باريس للمناخ (٢٠١٥) الذي عقد بمشاركة ١٩٥ دولة محصلة الجهود العالمية لمواجهة التغير المناخي. وقد وقع عليه ١٧٥ رئيس دولة في مقر الأمم المتحدة في نيويورك في ٢٢ نيسان أبريل ٢٠١٦. تعمل اتفاقية باريس للتغير المناخي بشكل أساسي على مواجهة مشكلة انبعاثات الغازات الدفيئة، وكيفية إيجاد الحلول للتكيف معها، والتخفيف من حدة ضررها علي البيئة، والنظر بجدية للآثار الواضحة للتغيرات المناخية، والحد من ارتفاع الحرارة الي اقل من درجتين مئويتين؛ حيث إن متوسط درجات الحرارة العالمية ارتفع بمقدار ٠,٨٥ درجه مئوية من ١٨٨٠-٢٠١٢. [٢٦]

أهمية الدين في السياسات البيئية

تتميز المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع بالبحث في إمكانيات توظيف الدين والثقافة في السياسات الاجتماعية والاقتصادية، ويخبرنا التعريف الوظيفي بالاستخدامات التي يمكن توظيف الدين فيها بوعي أو لا شعوريا. ويخبرنا التعريف الجوهري بماهية المقدس تسعى النظرية الاجتماعية الوظيفية إلى تجنب الرجوع إلى المقدس بالتركيز في المقابل على الفائدة التي يمكن أن تكون موجودة في الدين. وعلى نحو أكثر تحديدا؛ "يمكن تمييز الدين عبر إسهامه في النظام داخل المجتمع أو في نفسية المؤمن. حتى الرؤية الماركسية للدين بوصفه أفيون الشعوب فإنها ذات طبيعة وظيفية". [٢٧]

ويعرف الدين وفق هذه النظرية بأنه المجال الذي يمر بتجربة المقدس. مجال يتصرف فيه المؤمنون والدارسون، كل فئة تطبق القدرة البشرية للمشاركة في إطار القيود التي تفرضها آليات السلطة، على تجليات التقسيمات البشرية الأساسية، ومن ثم إضافة بعد إضافي إلى بنائهم ورؤيتهم للواقع. (٢٨)

يمكن على ضوء ذلك تحديد جوانب أهمية ووظائف الدين في مجال البيئة في المبادئ والمسوغات التالية:

١- القيم الأخلاقية والروحانية مهمة في التحولات على المستويين الشخصي والمجتمعي المطلوبة لإنعاش كثير من الأنظمة البيئية، ويمكن للقيم المختلفة والحوافز والمعرفة التي تحرك النشاط الإنساني في أن تجد قنوات أنشط وأكثر تأثيرا نحو الحياة المستدامة على الكوكب، وفي هذه الرابطة تحديدا يقدم مجال الدين والإيكولوجيا إسهامات مهمة في الحقل الأكاديمي وخارجه. (٢٩)

٢- هناك أدلة ومؤشرات عدة إلى إمكانية تغيير القيم باتجاه تحولات اقتصادية واجتماعية إيجابية، مثل التغير الثقافي تجاه التدخين واستهلاك التبغ، فقد تراجعت مكانة التدخين الثقافية بعدما كانت تحظى بمرتبة عالية، وقد تتخلص البشرية نهائيا من هذه العلة الضارة بالصحة والاقتصاد كما يشير تقرير منظمة الصحة العالمية للعام ٢٠١٨. وكانت الأراضي التي يديرها السكان الأصليون حسب طريقتهم وثقافتهم أقل تعرضا للتدهور البيئي، وذلك بسبب أنظمة ثقافية وسلوكية تحافظ على التنوّع أو تحصّنه. (٣٠)

٣- يلاحظ تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية أن ٨٠ في المائة من البشر يؤمنون بضرورة حماية الكوكب، لكن ٤٠ في المائة فقط يبدون استعدادا للتحرك. هذه الفجوة بين القيم والسلوك هي ما يجب أن نفكر فيه جميعا لتحفيز الأغلبية المؤيدة للحفاظ على الكوكب والحياة، والمستقبل أيضا.

٤- إرادة الإنسان في تشكيل حياته يمكن أن تتضافر فتعمل بطرق منظمة من خلال الحركات الاجتماعية. يقول فرانسس ستيوارات: "التغيير في السياسات هو حصيلة

خلاف سياسي تسهم فيه مجموعات وأفراد تأييداً لتغيّرات معيّنة أو اعتراضاً عليها. وعندما يلتقي الأفراد على دعم تغييرات معيّنة، يمكنهم أن يكتسبوا قوة جماعية نافذة (٣١)

٥- من المهم أن نعمّق وعينا بعلاقة الترابط بيننا وبين الكوكب، وهو ترابط تؤازره وتديمه قيم وأعراف اجتماعية في أنحاء شتى من العالم، هذه القيم والأعراف قد تترجم تعبيراً مؤثرا في خيارات الفرد والمجتمع التي تيّسرها عمليات سياسية واجتماعية تعطي الإنسان مزيداً من الولاية على حياته. (٣٢) وكما تقول شارتشاندرا ليلي: "زرع القيم الإنسانية وإمكانات التفكير النقدي التي تمكننا من استعادة الارتباط بيننا وبين بيئتنا، والتحوّل إلى مواطنين واعين وناشطين سياسياً. (٣٣)

٦- كلما تزايد إدراك المجتمعات للتداعيات الناتجة عن الإضرار بالبيئة والتغير المناخي يتزايد وعيها الجمعي بأننا نرسم ملامح مستقبل النظام الأرضي.

٧- تتمتع المجتمعات اليوم بقدرة لم تعهدها من قبل على التصرف بناءً على الأدلة وانتهاج خيارات تحوّل طريقنا بعيداً عن مسارات كارثية محتملة. وهذا ما يجعل محاولة بناء خطاب ديني وثقافي منسجم مع الجهود العالمية لمواجهة التغير المناخي عمليات ملائمة وضرورية. إذ يمكن الاستعانة بالدين والأعراف الاجتماعية والحوافز لتحقيق تحوّل جذري. ويمكن أيضاً تسخير جيل جديد من الحلول – الأفعال المستنبطة من الطبيعة لحماية النُّظم البيئية وإدارتها على نحو مستدام واستعادتها، مع النهوض برفاه الإنسان في الوقت نفسه حلول وأفعال إنّما تنمّ عن تمكين الأفراد بطرق تعزّز الإنصاف، وترعى الابتكار، وتنبع من روح الرعاية للطبيعة(٣٤).

تنظير ديني لقضايا البيئة والتغير المناخي

تنتمي تحديات البيئة والمناخ إلى عصر الصناعة، وهو عصر تراجع فيه البحث العلمي والفقهي في عالم الإسلام. ولم تكن تحديات البيئة والمناخ قبل عصر الصناعة

والدولة الحديثة تشغل أكثر الناس، لكن بدأت مع قيام الدول العربية والإسلامية الحديثة ونشوء الجامعات تظهر دراسات في الشأن البيئي من منظور إسلامي، وجميعها تستند إلى قاعدتين أساسيتين؛ الاستنباط من الفقه الزراعي (ينتمي إلى عصر الزراعة) لتطبيق وإنشاء قواعد ملائمة لعصر الصناعة، والثانية استيعاب المعارف والعلوم الغربية التي تشكلت في عصر الصناعة، ثم محاولة ملاءمتها وفق الشريعة الإسلامية.

إن معظم إن لم يكن جميع ما نفعله في هذا السياق هو محاولة إنشاء انسجام بين المنظومات البيئية التي أنشأها العالم الحديث وبين الشريعة الإسلامية، التي ينتمي معظم أصول الفقه فيها وقواعد الاستنباط والاستقراء إلى عصر الزراعة الذي لم يشهد القيم والتحديات الناشئة في القرون الثلاثة الأخيرة وبخاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر، وعلى سبيل المثال قيم الحرية والسلام، والمفاهيم الحديثة والناشئة في الإنصاف والمساواة وتنظيم الدول المركزية وفصل السلطات، وولاية المجتمعات والأفراد على قضاياها ووجودها ومنع الرق والاتجار بالبشر وقوانين وأنظمة العمل والضمان الاجتماعي والتأمين الصحي ومعايير البيئة والسلامة والجودة وحماية المستهلك والتنمية المستدامة.

إن الأمم في سعيها نحو تحسين وجودها في الأرض وفي تأملها في هذا "الأحسن" تواضعت على قيم عليا وأساسية تحكم الأفكار والاتجاهات، وهي ببساطة الحق (التمييز بين الخطأ والصواب) والخير (التمييز بين النافع والضار) والجمال (التمييز بين القبيح والحسن) وقد أسماها فقهاء المسلمين الضرورات والحاجات والمحسنات. ذلك أن مراد الله في ما أنزله للناس من الكتاب والوحي أن يقوموا بالعدل والقسط. "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" [٣٥] "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[٣٦] هكذا ففي وسعنا أن نستلهم الخطاب الإسلامي مسترشدين بالمقاصد الإنسانية العامة (الحق والخير والجمال) وما يحقق العدل ويجلب المنافع ويدفع الضرر ويميز بين القبيح والحسن، وبالحديث النبوي "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" (رواه مسلم) والحديث "أنتم أعلم بأمور دنياكم" (رواه مسلم)

ذكر السيوطي في كتابه "الأشباه والنظائر" ست قواعد مرجعية للتشريع والسياسات والتخطيط للأعمال والمصالح والمسائل، وهي: الأمور بمقاصدها، واليقين لا يزال بالشك، والمشقة تجلب التيسير، والضرر يزال – لا ضرر ولا ضرار، والحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، والعادة محكمة.

وأما كتاب الموافقات للشاطبي الأكثر حضورا وتأثيرا في الفقه وأصوله، فقد حدد حكمة تكاليف الشريعة في حفظ مقاصدها

"وهذه المقاصد ثلاثة أنواع: ضرورية وحاجية وتحسينية، فالضرورية هي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، ومجموع الضروريات خمسة: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل. وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة. وأما الحاجيات، فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراعَ دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. وهي جارية في العبادات والمعاملات والعادات والجنايات. وأما التحسينات، فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات، التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق." (٣٧)

وقد استوعبت مجلة الأحكام العدلية (٣٨) التي اشتغل عليها مجموعة كبيرة من العلماء في القرن التاسع عشر (١٨٧٦) القواعد الكلية الفقهية وتمت صياغتها في ١٨٥٠ مادة، ومما يعنينا ويهمننا في هذه الدراسة من هذه القواعد:

"الْأُمُورُ بِمَقَاصِدِهَا. ووجوب دفع الضرر (لا ضرر ولا ضرار) والضرورات تبيح المحظورات، وما أبيح للضرورة يتقدر بقدرها، والضرورات تقدر بقدرها. ومَا جَازَ لِعُذْرٍ بَطَلَ بِزَوَالِهِ . وإذَا زَالَ الْمَانِعُ عَادَ الْمَمْنُوعُ. والضَّرَرُ لَا يُزَالُ بِمِثْلِهِ. ويُتَحَمَّلُ الضَّرَرُ الْخَاصُّ لِدَفْعِ ضَرَرٍ عَامٍّ. والضَّرَرُ الْأَشَدُّ يُزَالُ بِالضَّرَرِ الْأَخَفِّ. وإذَا تَعَارَضَ مَفْسَدَتَانِ رُوعِي أَعْظَمُهُمَا ضَرَرًا بِارْتِكَابِ أَخَفِّهِمَا. ويُخْتَارُ أَهْوَنُ الشَّرَّيْنِ. ودَرْءُ الْمَفَاسِدِ

أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ. والضَّرَرُ يُدْفَعُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ. والْحَاجَةُ تُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الضَّرُورَةِ عَامَّةً أَوْ خَاصَّةً. والِاضْطِرَارُ لَا يُبْطِلُ حَقَّ الْغَيْرِ. فإذا كَانَ بَالُوعُ دَارٍ جَارِيًا مِنْ الْقَدِيمِ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِّ وَكَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ لِلْمَارَّةِ فَلَا يُعْتَبَرُ قِدَمُهُ وَيُدْفَعُ ضَرَرُهُ."

ومن القواعد المهمة في الفهم المقاصدي للخطاب الديني: مقاصد الدنيا هي مقاصد الدين، فالدين لا يقوم الا بالحياة، ولذلك يجب إصلاح الحياة ومقاصدها لأجل القيام بالدين، فلا تكليف الا بوجود المكلف، ولا مكلف الا أن يكون عاقلا حرا قادرا، والمنافع (الحاجيات) والجمال (التحسينات) مكملة للحق (الضرورات) وكذا الجمال (التحسينات) مكمل للمصالح والمنافع (الحاجيات) (الشاطبي، الموافقات)

وفي المجمل يمكن اقتراح المبادئ العامة لخطاب الشريعة الإسلامية والبيئة على النحو التالي:

١- العدالة والمساواة (الحق والخير والجمال)
٢- استلهام روح الطبيعة والانسجام والسلام مع الكون استلهام روح الطبيعة والفطرة السليمة
٣- المسؤولية العامة والشاملة عن الكوكب والحياة والطبيعة
٤- سياسات اقتصادية واجتماعية وثقافية تعزز الاتجاهات والسياسات التشريعية والبيئية
٥- الذات الفاعلة – مسؤولية الفرد تجاه نفسه ومحيطه في تعزيز وإنجاح السياسات البيئية.
٦- السلوك الاجتماعي وأسلوب الحياة المعزز للبيئة وحمايتها ومواجهة التلوث
٧- دفع الضرر والتلوث، والوعي بالسلوك الضار لأجل تجنبه
٨- التفاعل الإيجابي مع الطبيعة والمكان والمدن والقرى والبلدات
٩- الصحة والغذاء
١٠- النظافة والطهارة
١١- ترشيد إدارة وتنظيم الماء والطاقة

١٢- الشجر والزراعة والغطاء الأخضر

١٣- الاستدامة

١- العدل والجمال مدار الشريعة والحياة

يمثل العدل القيمة الأساسية والعليا للدين، وهو مدار البحث والنظر في مراد الله ومقاصد الشريعة. "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ" (٣٩) والعدل يشمل جميع الناس من أي ملة أو دين أو قوم؛ سواء كانوا أعداء أو أصدقاء، ويشمل أيضا الكائنات والمخلوقات والقيم والشرائع والسلوك المتعلقة بالكون والحياة "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (٤٠) والإحسان بما هو الجمال مكمل للعدل والمصالح فلا تكتمل من غير تجنب القبيح واتباع الحسن. في العمل البيئي بخاصة يمثل الجمال ركيزة أساسية، إذ الطبيعة هي المثال الأعلى للجمال الذي نتبعه ونتمثله. "وزيناها للناظرين" (٤١)

٢- الكون والطبيعة والحياة

يأتي الكون في القرآن والكتب السماوية في نموذجين متوازيين ومتكاملين، أحدهما بما هو كائن مستقل موجود لذاته، يستلهمه الإنسان ويتعلم منه ويشاركه الوجود، والثاني في منفعة الإنسان والكائنات الحية، وقد وردت المفردات والمعاني البيئية في القرآن في مواضع كثيرة تؤشر إلى الموقع الأساسي والمهم للبيئة في حياة المؤمنين وأفكارهم. وهي استخدامات وأمثلة وإشارات تؤكد على أن البيئة وما يتصل بها من الحياة والأمكنة والزروع والثمار والماء والكواكب والنجوم تمثل الإطار العام والشامل الذي ينظر المؤمن من خلاله إلى دوره ومعنى وجوده، وأنه لا يمكن تصور وجود المؤمن ورسالته من غير بيئة مادية ومعنوية صالحة للحياة والعمل والعبادة. وينشئ ذلك معانٍ؛ منها:

أ- ضرورة فهم الطبيعة كما هي، وعدم العبث بها أو تحديها، لكن استيعابها والاستفادة منها كما هي، والبحث والتأمل في الفوائد والمنافع المتأتية من

الانسجام مع الكون والطبيعة وفطرة الحياة وأصلها، وعدم التغيير فيها، أو على الأقل الأخذ بالاعتبار ما يمكن أن ينشأ عن التغيير في الطبيعة والحياة.

ب- مراجعة فكرة مركزية الإنسان في الكون والحياة وبين الكائنات، إذ الكائنات والمخلوقات جميعها أمم بذاتها، ويجب على الإنسان أن ينشئ ويلتزم توازنا عادلا مع الكائنات والبيئة، فلا يلحق بها ضررا ولا يغير فيها ولا يلغيها، وأن يشاركها الكون والمحيط وينتفع بها دون إضرار بها أو إخلال بالتوازن الطبيعي والكوني. "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم" (٤٢) وللكون قيمة في حد ذاته ووجوده، وليس فقط لخدمة وتلبية احتياجات البشر. "تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"(٤٣)

ت- ذم القرآن فئة من الناس تصادم قوانين الفطرة والكون "الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (٤٤) ويؤكد على دور الإنسان في الأرض، ويحذر الناس من الغرور والترفع على الكائنات، بل تأكيد على أنها أعظم من الإنسان "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ" (٤٥) وفي ذلك فإننا لا نملك الكون أو الطبيعة، بل نحن أمناء وشركاء في الكون والحياة. ويجب بمقتضى ذلك أن نحافظ على البيئة الطبيعية، ونفهم كيف خلقها الله، وماذا يراد لها أن تكون. " وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا" (٤٦)

ث- النظر والتأمل فيما يمكن أن يتعلم الإنسان من الكون والطبيعة والكائنات الحية وجميع المخلوقات، ففي قوانينها وسلوكها منظومات وقوانين صحيحة أو فطرية للحفاظ على الكون والحياة والتوازن الطبيعي العادل بينها. " فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ" (٤٧)

ج- يجب أن يقدم الإنسان للحياة والكون بقدر ما يأخذ، وأن يكون مفيدا للحياة وغير ضار، وليس عبئا على الكون والبيئة والكائنات الحية، لكن أن يكون مفيدا بل

ضروريا لها. إذ خير الناس أنفعهم للناس كما يؤشر الحديث النبوي،"أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس" (رواه الطبراني وابن أبي الدنيا) وبالتأكيد تبعا للقاعدة إياها فإن شر الناس أضرهم بالناس.

ح- الشعور بالمسؤولية تجاه الكون والبيئة والحياة، والعمل بمقتضى هذه المسؤولية.

خ- أن يجد الإنسان السلام والمعنى والجدوى في هذا الانسجام مع الطبيعة والبيئة، ويرتقي بروحه وفكره وعقله من خلال التشارك الإيجابي مع الكون والحياة والكائنات. وربط الإيمان والعبادة والسلوك الديني بهذه المصالحة مع الذات والكون.

٣- استلهام روح الكون والطبيعة

يعمل الكون وفق قوانين ومنظومات محكمة ومتوازنة، ويدعو الدين إلى التعلم من الكون والطبيعة والتأمل فيهما، وفي ذلك يستطيع أن ينشئ موارده وأعماله ويفكر ويخطط لشؤونه ومستقبله، ويشارك أيضا في المسؤولية والإعمار. تعضد هذا المعنى آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار تؤشر إلى ما يمكن أن يتعلمه الإنسان من الكون والطبيعة، ووجوب الانسجام معهما. ومنها على سبيل المثال:

أ. ترتبط العبادات والشعائر الدينية بحركة الكون والطبيعة، فالصلاة تتحدد مواعيدها بحركة الشمس، قبل شروقها (الفجر) ثم طلوعها (سنّة الضحى) ثم الزوال عندما تكون الشمس في منتصف السماء (الظهر) ثم الأصيل ثم (العصر) الغروب ثم الغسق (العشاء) ويرتبط الصيام والحج بمواعيد السنة المستدل عليها بالقمر، والزكاة تجب في مواسم العطاء "وآتوا حقه يوم حصاده" [٤٨] ويحمل الصيام المسيحي معانٍ بيئية، إذ يكون بالامتناع عن تناول المنتجات الحيوانية مع بدء الربيع، حيث تبدأ الأرض بإنتاج الطعام، فيستفيد الإنسان من موسم الربيع، ويتيح المجال للمواشي لتربي صغارها في موسم الولادة والرضاعة، وفي ذلك يمكن حماية المواشي وتعظيم الثروة الحيوانية، والاستفادة من الطبيعة وما تقدمه من طعام متاح، ويؤدي الإقبال على المنتوجات النباتية في موسم الصيام إلى تعظيم

الاقتصاد الزراعي، ويتيح للمزارعين تحسين حياتهم وزراعتهم، ويلجأ الناس أيضا إلى الأطعمة المخزنة التي أعدت في وقت الوفرة؛ ما يحمي المنتجات الزراعية من الهدر حيث يمكن استخدام الفائض منها في التخزين والصناعات الغذائية، ويجعل الزراعة في مواسمها ودوراتها مصدرا للغذاء والمال دون إخلال بالطبيعة وعلاقة الإنسان والكائنات الحية بها.

ب. الصيام الإسلامي يمكن أن يكون ذا أثر إيجابي في البيئة، حين يصحبه ترشيد للاستهلاك وتقشف وتخفيف في تناول الأطعمة؛ ما يخفف الضغوط عن الطبيعة.

ج. إن جميع الكائنات والمخلوقات تؤدي دورا في الكون والحياة، "إنا كل شيء خلقناه بقدر" [٤٩] وتشمل المعاملة في الإسلام بالعدل والرحمة جميع الكائنات الحية، وليست مقصورة على البشر، والقرآن ينظر بالتقدير والاحترام لجميع الكائنات، وتشمل راحة السبت المواشي أيضا والحيوانات، وجاء في سفر الأمثال "الصديق يراعي نفس بهيمته، ومراحم الأشرار قاسية"

د. يفتتح المسلمون صلاتهم بالآيات التي تعبر عن هذه الشمولية في تصور الكون والحياة "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض" [٥٠] ويعتبر الحديث النبوي الأرض كلها مسجدا، "وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا" (متفق عليه)

٤- يمثل استخدام الطبيعة المضاد للفطرة أو الفكرة الأساسية لها او الضار بها أو بالكائنات والمخلوقات أحد أهم التحديات الكبرى اليوم في التأثير البشري على البيئة والمناخ، "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ" [٥١] وقد وردت أحاديث نبوية تنهى في تغيير خلق الله على النحو الذي يغير من طبيعتها والغاية منها، مثل إخصاء الحيوانات، لأنه تغيير لخلق الله. قال تعالى في ذم الشيطان وأتباعه " وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا" [٥٢]

التأمل والتفكر في الكون والحياة والطبيعة

وردت الدعوة إلى التأمل والنظر في الكون وجماله وبهجته وأسراره في مواضع كثيرة من القرآن الكريم والكتب السابقة. "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٣) "ويتفكرون في خلق السموات والأرض" (٥٤) ولم يكن هذا التأمل معزولا عن المعرفة والمهارات وتحسين الحياة. "هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (٥٥) وقد أنشأت هذه الرسالة في التفكر والبحث منظومة واسعة ومتراكمة من العلوم والإنجازات الحضارية والعلمية التي أفادت البشرية وخدمت الحياة على مدى القرون، مثل علم الفلك الذي طوره المسلمون ووظفوه في الزراعة والملاحة، فأنشأوا في الملاحة البرية والبحرية قواعد وعلوما ومهارات وتقنيات ظلت هي الأكثر تقدما وأهمية، كما نشأت علوم الطب والكيمياء التي حسنت حياة الناس وأنتجت الدواء والعلاج للأمراض والعلل.

ونجد أيضا في الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم شواهد كثيرة على هذه العلاقة الإيجابية بالبيئة والكون والطبيعة، "يُمَجِّدُنِي حَيَوَانُ الصَّحْرَاءِ، الذِّئَابُ وَبَنَاتُ النَّعَامِ، لأَنِّي جَعَلْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَاءً، أَنْهَارًا فِي الْقَفْرِ، لأَسْقِيَ شَعْبِي مُخْتَارِي" (٥٦) وفي سفر ايوب: أَنْصُتْ إِلَى هذَا يَا أَيُّوبُ، وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللهِ. أَتُدْرِكُ انْتِبَاهَ اللهِ إِلَيْهَا، أَوْ إِضَاءَةَ نُورِ سَحَابِهِ؟ أَتُدْرِكُ مُوازَنَةَ السَّحَابِ، مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ؟ كَيْفَ تَسْخُنُ ثِيَابُكَ إِذَا سَكَنَتِ الأَرْضُ مِنْ رِيحِ الْجَنُوبِ؟ هَلْ صَفَّحْتَ مَعَهُ الْجَلَدَ الْمُمَكَّنَ كَالْمِرْآةِ الْمَسْبُوكَةِ؟

٥- المسؤولية الشاملة للإنسان تجاه الكون والحياة

يسلك المؤمن في حياته وعباداته ومعاملاته على أساس المسؤولية عن الذات والحياة والكون والطبيعة والكائنات الحية والمخلوقات جميعها. *"مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"* (٥٧) *وفي سفر الأمثال "بِبَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمِينَ تَعْلُو الْمَدِينَةُ، وَبِفَمِ الأَشْرَارِ تُهْدَمُ.* "فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (٥٨) "وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ. ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي

ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" [٥٩] " وفي الحديث النبوي "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (رواه ابو داود والترمذي) ومؤكد أن عبارة من في الأرض شاملة لجميع الكائنات والمخلوقات والأشياء. وفي الحرب يجب الاحتكام إلى الرحمة والمسؤولية الشاملة. فقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائد جيش الشام، لا تقتل صبيا ولا امرأة ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه" (مالك والبيهقي)

وتؤكد التوراة على ضرورة إراحة الأرض وإشاعة جزء منها للناس وحتى الوحوش البرية "وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا، وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتُرِيحُهَا وَتَتْرُكُهَا لِيَأْكُلَ فُقَرَاءُ شَعْبِكَ. وَفَضْلَتُهُمْ تَأْكُلُهَا وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. كَذلِكَ تَفْعَلُ بِكَرْمِكَ وَزَيْتُونِكَ.سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ." [٦٠]

والمؤمن يترك في حقله جزءا منه لكل محتاج بشرا كان أو طيرا "إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها. للغريب واليتيم والأرملة تكون لكي يباركك الرب الهك في كل عمل يديك. وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الاغصان وراءك. للغريب واليتيم والأرملة يكون. وإذا قطفت كرمك فلا تعلله وراءك للغريب واليتيم والأرملة يكون" [٦١] "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها" (البخاري) وفي الحديث "من أحيا أرضا ميتة فهي له، وما أكلت العافية منها فهي له صدقة. (أبو داود وأحمد والترمذي) والعافية هي السباع والطير والناس وكل شيء يعتافه. ويذكر القاضي أبو يوسف في كتابه المشهور "الخراج" أن الرسول كان قد أقطع بلال بن الحارث المزني أرضا بالمدينة، فلما كان زمان عمر، قال لبلال إن رسول الله لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي. [٦٢] ونهى الرسول عن الصيد لغير ضرورة وقتل الطيور بلا هدف أو لأجل التسلية والعبث، ففي الحديث "ما من مسلم يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها. وحقها أن يذبحها فيأكلها". (النسائي والحاكم) ونهى

الرسول عن اتخاذ ذي روح غرضا، أي هدفا للرمي.(البخاري ومسلم) في قاعدة لمواجهة الوباء والعدوى "لا يوردن ممرض على مصح" (البخاري ومسلم) أي لا يخلط المواشي المريضة بالصحيحة حتى لا تعديها.

وعند ذبح المواشي للطعام والضيافة يجب تجنب الاناث الحلوبة والمرضعة. "أراد رجل أن يذبح شاة ليصنع طعاما للرسول، فقال له: إياك والحلوب" (ابن ماجة) أي يتجنب ذبح الشاة التي تحلب. وفي حديث عندما رأى الرسول شاة ميتة فقال هلا انتفعتم بجلدها. قالوا إنها ميتة. قال إنما حرم أكلها.(البخاري ومسلم) في قصة الطوفان أمر الله نوحا أن يحمل معه في السفينة من الكائنات ما يحميها من الفناء "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين" (٦٣)

ونهى الرسول عن تعذيب الحيوانات او تجويعها بل وإهانتها. (متفق عليه) ونهى أن تصبر البهائم، أي تحبس وتضرب بالنبل حتى تموت." (أبو داود وابن خزيمة) ونهى عمر أن تحمل الحيوانات أكثر مما تطيق. (طبقات ابن سعد) وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: إذا كان من أرباب المواشي من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه أنكره المحتسب عليه ومنعه" (٦٤) ونهى الرسول عن التبول في الطريق والماء والظل "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل" (أحمد والترمذي) وقال: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري" (أبو داود وابن ماجه) ونهى عن الإسراف في الماء في جميع الظروف، ومهما كان الماء وافرا، ولو لأغراض العبادة "لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار" (ابن ماجه) وأجاز الفقهاء التيمم بالتراب لأجل الحفاظ على الماء للشرب للإنسان أو البهائم.

ومن المسؤولية الشاملة الجودة في العمل وعدم الغش وأداء الأمانات إلى أهلها. "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" (٦٥) ونهى الرسول عن الغش "من غش فليس منا" (رواه مسلم). ومن وظائف المحتسب كما ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية "المنع من التطفيف والبخس في المكاييل والموازين. (٦٦)

٦- حماية الماء وتنظيم استخدامه

تقوم الحياة على الماء. "وجعلنا من الماء كل شيء حي" (٦٧) ويعتبر الماء أهم مورد على كوكب الأرض، وهو أيضا مورد يعتبر نادرا، لكن وبرغم ذلك فإن الماء يتعرض للهدر والتلوث على نحو ينذر بالخطر. يقول غيلبرت هونغبو، رئيس مكتب هيئة الأمم المتحدة للمياه: "تنشأ العديد من مشكلاتنا لأننا لا نقدر المياه بدرجة كافية؛ في كثير من الأحيان لا يتم تقدير المياه على الإطلاق" (٦٨)

يعتبر الماء ملكا للأمة أي مرفقا عاما يشترك فيه جميع الناس، في الحديث النبوي: "ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار" (ابن ماجه) "الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار" (أحمد وأبو داود) وتوفير الماء والسقاية أفضل عمل يتقرب به المؤمن إلى الله، فقد سئل النبي "أي الصدقة أفضل؟" قال: سقي الماء" (النسائي). "من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله فضل رحمته" (البخاري) وفي الحديث عن البحر "هو الطهور ماؤه والحل ميتته" (أبو داود والترمذي والنسائي) توجيه بتوفير الماء العذب واستخدام ماء البحر بدلا منه إذا دعت الحاجة لذلك.

وقد ورد في الهدي النبوي آثار في الحفاظ على الماء من الهدر أو التلوث، مثل النهي أن يُشربَ من فِي السِّقاء ونهى الرسول عن الشرب من ثُلمة القدح، وأن ينفخ في الشراب" (الجامع الصغير)، وذلك كي يبقى الماء نظيفا ونقيا، ولكي لا يضر استخدامه الآخرين.

وقد سأل هارون الرشيد أبا يوسف القاضي كما يقول في كتابه الخراج أيكون للإمام أن يأمر بطمر نهر من الأنهار؟ فقال إن كان هذا النهر قديما فإنه يترك على حاله، وإن كان محدثا من فعل والٍ أو غيره، نظر في ذلك إلى منفعته وإلى ضرره، فإن كانت منفعته أكثر ترك على حاله، وإن كان ضرره أكثر أمرت بهدمه وطمه وتسويته بالأرض، وكل نهر له منفعة أكثر فلا ينبغي للإمام أن يهدمه ولا يتعرض له، وكل نهر مضرته أكثر من منفعته فعلى الإمام أن يهدمه ويطمه ويسويه بالأرض إلا ما كان للشفة (الشرب دون سقي الأرض) (٦٩)

وأورد أبو يوسف في كتاب الخراج جملة من الأحكام والإشارات تصلح اليوم للاستشهاد والاسترجاع، مثل

"كل من كانت له عين أو بئر أو قناة فليس له أن يمنع ابن السبيل من أن يشرب منها ويسقي دابته وبعيره وغنمه منها، وليس له أين يبيع من ذلك شيئا للشفة (الشرب) والشفة عندنا الشرب لبنى آدم والبهائم والنعم والدواب، وله أن يمنع السقى للأرض والزرع والنخل والشجر. و يستشهد بالحديث النبوي"لا تمنعوا كلأ ولا ماء ولا نارا، فإنه متاع للمقوين، وقوة للمستضعفين." (٧٠) "وإذا اتخذ أهل المحلة مشرعة لأنفسهم يستقون منها فليس لهم أن يمنعوا أحدا من الناس يستقى منها" (٧١) و"لآبار الماء وعيونها حرم يحيط بها لا يجوز الاعتداء عليه. (٧٢)

٧- الطاقة

كان الاستخدام الإنساني للطاقة قبل عصر الصناعة محدودا بمجالات قليلة، مثل الطهو والتدفئة وحرف وصناعات محدودة، لكن الطاقة اليوم تمثل عصب الصناعة والحياة والموارد، وتقوم عليها الحياة المعاصرة، وقد أدى ذلك إلى متوالية من التلوث والتأثير في الطبيعة والمناخ.

الحديث النبوي عن شراكة الناس في الماء والكلأ والنار يصلح لتقدير المصالح والمرافق المشتركة بين الأمة سواء على مستوى الأمة الواحدة أو بين الأمم جميعها، فالوباء والأزمات المناخية هي قضايا وتحديات تشترك في إدارتها ومواجهتها جميع الأمم، ولا يمكن لدولة واحدة أن تقوم بها، كما أن الشراكة لا تعني الحقوق فقط ولكن المسؤولية أيضا، ولذلك فإن جميع الأفراد والمجتمعات والأمم مسؤولون عن صيانة وحماية المرافق العامة، ومواجهة التحديات الناشئة عن استخدامها وتنظيمها، مثل التلوث والتغير المناخي، والهدر في الموارد.

٨- إزالة التلوث والضرر بالبيئة

يمثل إزالة الضرر قاعدة أساسية واسعة الاستخدام والتطبيق في التشريع والسياسات في الحضارة الإسلامية، وفصل الفقهاء قواعد واسعة وكثيرة مستمدة من

القاعدة الأساسية "لا ضرر ولا ضرار" وردت بعض هذه القواعد في فصل سابق من هذه الدراسة. والمبدأ الأساسي في التنظير في هذا الجانب هو الاحتكام إلى العقل والمصالح، ذلك أن الأهواء تفسد الحياة والكون. "وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ" (٧٣) "فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ" (٧٤) ومؤكد أن كل ما يضر أو يسبب ضررا للبيئة أو الطبيعة أو الفضاء أو المناخ يندرج في الأضرار التي يجب إزالتها، ويوجد في التراث الإسلامي أمثلة وشواهد على وجوب إزالة الأضرار البيئية مما كان يحدث في المدن والأسواق والمجتمعات أو في السلوك وأساليب الحياة.

يأتي في هذا السياق منع إتلاف المال أو الأملاك، "من أتلف مال غيره فهو له ضامن" وتحتمل آيات وآثار وقواعد دفع الضرر والإساءة اعتبار الضرر الواقع على البيئة او الهواء أو مايؤثر على المناخ وحياة الناس اعتداء أو بغيا يجب وقفه. "يُدْفَعُ الضَّرَرُ الْفَاحِشُ بِأَيِّ وَجْهٍ. (٧٥) تشكل النفايات اليوم تحديا كبيرا للأمم، وتؤدي إلى الأمراض وفساد الماء والأرض الهواء والتربة، ونفوق الأسماك والطيور والحيوانات، ويقابل ذلك أيضا وجوب النظافة والطهارة. "وثيابك فطهر" (٧٦) "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (٧٧) "الطهور شطر الإيمان" (رواه مسلم)

٩- الضوضاء

تعتبر الأصوات العالية الصادرة عن الناس والمركبات والآليات والمصانع من ملوثات البيئة، لأنها تضر بالفضاء العام للناس وخاصة في المدن، وتقلل من قدرتهم على العمل والراحة، وتسبب كثيرا من الأمراض للأذن والأعصاب.

جاء في القرآن والأحاديث النبوية شواهد على طلب تخفيض الضوضاء "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا" (٧٨) *"إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُون* (٧٩) "واقصد في مشيك واغضض من صوتك" (٨٠) وفي الحديث النبوي"إياكم وهيشات الأسواق" (رواه مسلم) وهيشات الأسواق ارتفاع الأصوات واللغط فيها. ونهى الرسول عن رفع الأصوات في المساجد والجنائز "إن

أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنه يناجي ربه فليعلم أحدكم ما يناجي ربه ولا يجهر بعضكم على بعض في الصلاة" (الطبراني وأحمد) "إذا كان أحدكم في صلاته فإنه يناجي ربه فلينظر أحدكم ما يقول في صلاته ولا ترفعوا أصواتكم فتؤذوا المؤمنين" (البغوي)

١٠- حق الطريق

يمكن أن يكون الحديث النبوي "أعطوا الطريق حقه" (رواه البخاري) قاعدة شاملة لسلوك الطريق. إن الطرق تشكل شريان الحياة، وهي أيضا من أكثر مصادر التلوث والمخاطر على الحياة والبيئة، ويمكن أن تؤدي السياسات والقوانين إضافة إلى الالتزام الطوعي بآداب الطريق إلى التخفيف من الحوادث والمرض والتلوث والخسائر البيئية والاقتصادية.

يبذل المؤمن كل ما يقدر عليه من إزالة الأذى عن الطريق ومساعدة الناس "وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى مع اللهفان المستغيث، وتحمل مع الضعيف. فهذا كله صدقة منك على نفسك" (ابن حبان) وسئل الرسول علمني شيئا أنتفع به. قال: اعزل الأذى عن الطريق. (رواه مسلم) "إنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة" (ابن خزيمة) ومن أحكام وفتاوى سلامة الطريق ما عرضه الماوردي في الأحكام السلطانية

"وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح".[٨١] "وإذا بنى قوم في طريق سابل منه، وإن اتسع الطريق يأخذهم بهدم ما بنوه ولو كان المبنى مسجدا لأن مرافق الطرق للسلوك لا للأبنية، وإذا وضع الناس الأمتعة وآلات الأبنية في مسالك الشوارع والأسواق ارتفاقا لينقلوه حالا بعد حال مكنوا منه إن لم يستضر المارة، ومنعوا منه إن استضروابه. [٨٢]

١١- الصحة والغذاء

تشكل السياسات الصحية والغذائية العامل الرئيسي والأكثر أهمية في حماية الكوكب والحياة والبيئة وتخفيض التلوث، فالإنسان الذي يتمتع بصحة جيدة قادر على

العمل والإنتاج والمساعدة، ولأن المرض يزيد العبء كثيرا على المؤسسات والبيئة والأعمال.

إن الصحة والوقت هما النعمتان الأساسيتان، وما يجب الحفاظ عليهما أساسا، وتدور حولهما الحياة والتشريعات والسياسات والوعي، ويوجه الإسلام إلى العناية بالمرضى وإعفائهم من الواجبات الدينية والدنيوية. "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ" (رواه البخاري) ، "من أصبح معافى في جسده آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" (البخاري والترمذي) "إن لبدنك عليك حقا" " (البخاري) وقال في الطاعون إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" (متفق عليه) وقال: "أنزل الله الدواء والداء فتداووا" (مالك، الموطأ) "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء" (البخاري) ومن البديهي القول إنه لا يمكن القيام بالواجبات الدينية والحياتية من غير صحة جيدة.

١٢- التنمية المستدامة

تعني التنمية المستدامة حسب تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية الأخذ بالاعتبار الآثار والمتواليات المستقبلية للأنشطة الاقتصادية، ومراعاة مصالح الأجيال القادمة في مشروعات التنمية.

حث القرآن على التدبر والتفكير وما يتضمنه بطبيعة الحال من إدراك للمستقبل، كما أشار القرآن في مواضع كثيرة للسنن القوانين الناظمة للكون والحياة، ولا شك أن فهم واستيعاب هذه السنن يمكن المؤمنين من تقدير المستقبل واستقراء النتائج والتوقعات الممكنة بسبب علاقتها بالقوانين والسنن الثابتة. "ولن تجد لسنة الله تبديلا" (٨٣) وتمثل قصة يوسف عندما أوّل رؤيا الملك نموذجا في التفكير للمستقبل والاستعداد له، فقد فهم يوسف أنه ستأتي بعد سنوات الخير سنوات شداد، واقترح لأجل ذلك أن تخزن الحبوب فائض الحبوب بسنابلها حتى لا تتعفن وليمكن استخدامها في سنوات النقص في المؤونة " قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ" (٨٤) وتؤشر القصة أيضا إلى التقدير العام للمناخ ومتوالياته وضرورة الاستعداد لتقلباته،

وعدم إهدار شيء من المؤونة والطعام حتى يستخدم في وقت الحاجة إليه. وتتضمن أحكام الصيد في الإسلام حفاظا على الحيوانات والطيور، وألا يكون الصيد لأجل اللهو والعبث، وفي ذلك، تظل البيئة قادرة على الاستمرار في عطائها.

آفاق ومحددات الدور الديني في إدارة البيئة والتغير المناخي

١- يظل دور الدين في المجال البيئي اجتماعيا وظيفيا. يمكن أن يدعم على نحو سلوكي وأخلاقي وثقافي السياسات البيئة الرشيدة، لكن هذا السلوك ليس روحيا مقدسا، بمعنى إدراجه في العبادة التي يتقرب بها المسلم إلى الله، أو سلوكا مقدسا يستوجب انتهاكه الشعور بالإثم، مثل استخدام اليمين "الحلف بالله" في القضاء والمعاملات، إذ يستخدم هذا الطقس كعمل مقدس لا يجوز انتهاكه، ويفيد كثيرا في تحقيق العدالة والحصول على الشهادة الصادقة. يمكن الملاحظة كيف أنه برغم صعود التدين وانتشاره لم يؤثر بشكل ملموس في السلوك البيئي والاجتماعي والرشيد، فالمؤمنون برغم موافقتهم على ضرورة حماية البيئة والإتقان في العمل والتزام قوانين واجراءات السلامة لا يمتنعون عن انتهاكها، ولا يشعرون حين يفعلون ذلك أنهم انتهكوا مقدسا دينيا كما لو حلفوا يمينا كاذبا على سبيل المثال. لكن بالتأكيد فإنه سيكون مفيدا إدخال التوجيهات الدينية في برامج التنمية وحماية البيئة والسياسات والعادات البيئة الرشيدة. مع ضرورة الملاحظة والإدراك أن التدين لا ينشئ تلقائيا التقدم البيئي، لكن ذلك يجري في سياق وعي بالواقع وأفكار وخطط مؤسسية وتنظيمية للوعي البيئي، ثم يجري توظيف واستحضار السلوك والتوجيه الديني لخدمة هذه السياقات.

٢- هل يمكن أن تنشأ اتجاهات وجماعات دينية جديدة تجعل من البيئة والطبيعة مسألة مقدسة لا يجوز دينيا انتهاكها، ويؤدي "تدنيسها" إلى وجوب العقوبة؟ لم يحدث ذلك بعد في عالم الإسلام. يشير ميرشاه الياد إلى الأديان القديمة التي كان تقدس الطبيعة أنشأت علاقة مقدسة معها ساهمت في حماية البيئة وتحقيق التوازن الطبيعي. لكن ثمة مؤشرات لهذه الاتجاهات الدينية والروحية في العالم يمكن أن

تمتد إلى الإسلام والمسلمين؟ إذ كما نشأت اتجاهات وجماعات الإصلاح الديني في القرن التاسع عشر مصاحبة لمعرفة الحضارة الغربية، يمكن أيضا أن تنشأ اتجاهات دينية إسلامية بيئية متأثرة باتجاهات الاستلهام الروحي للطبيعة.

٣- يصاحب التدين بشكل عام التعصب وعدم التسامح، ويعوق ذلك فرص تطوير الخطاب الديني في سياق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، ويتحول الأمر إلى صراع ديني اجتماعي قد يكون ضرره أكثر من نفعه. وتنشأ أعمال عنف وصراعات مسلحة تلحق ضررا كبيرا بالبيئة والحياة.

٤- يمكن أن تتضمن بعض الطقوس والممارسات الدينية مثل الحج والأضاحي انتهاكات بيئية، ولم تنشأ بعد على نحو فاعل وكافٍ ممارسات وطقوس تتلافى الهدر والتلوث. يمكن الإشارة إلى عمليات إدارة وتنظيم الأضاحي في موسم الحج في المملكة العربية السعودية، وهي مبادرة جيدة لتجنب الهدر والتلوث، وتعميم الفائدة من الأضاحي على الفقراء في العالم، ويمكن التفكر في هذا السياق بمجموعة من الأفكار والتصورات؛ بعضها يبدو صعبا أو يحتاج إلى وقت طويل لأنها متصلة بنصوص وشعائر راسخة، لكن بعضها الآخر يمكن تحقيقه باجتهاد تأويلي أو حتى بدون اجتهاد.

أ. هل يمكن استخدام الفضاء الالكتروني (شبكة الانترنت) في أداء الشعائر أو بعضها. يبدو بحث الأمر مبكرا. لكن فكرة منصات الكترونية لأداء الطقوس والشعائر الدينيية أو بعض الأنشطة الدينية يمكن أن يقلل كثيرا من الهدر والنفقات والزحام والمخاطر والتلوث البيئي.

ب. تقديم تبرعات نقدية أو خدمات تطوعية مفيدة للبيئة بدلا من تقديم الأضاحي.

ج. تقديم الأضاحي من خلال مؤسسات متخصصة ملائمة للبيئة وباستخدام منصات شبكية تلغي عمليات شراء وذبح المواشي في الفضاء العام والساحات وعلى جوانب الطرق.

د. هل يمكن التأول والاجتهاد في الآية القرآنية "الحج أشهر معلومات"، ليكون أداء الحج على مدى شهور كما تشير الآية؟ المسألة تستحق التفكير والبحث. ففي ذلك يمكن تنظيم الحج على نحو يقلل من التلوث والزحام والأوبئة.

٥- تشكل المعابد والمساجد المنتشرة على نطاق واسع مبالغ فيه حالة من الهدر بسبب استنزاف المساحات والفضاءات والموارد والطاقة، ولا تستخدم هذه المعابد إلا في أوقات قليلة. ويمكن من غير اجتهاد فقهي أو تشريعي تطوير المساجد والكنائس والمعابد بعامة إلى مرافق تعليمية وصحية وأماكن اجتماعات بالإضافة إلى العبادة. تزايدت المساجد في الأردن حسب دائرة الإحصاءات الأردنية من ٩٠٠ مسجد عام ١٩٩١ إلى ٧٦٠٠ مسجد عام ٢٠٢٢، (الكتاب الإحصائي السنوي، ٢٠٢٢) إن إمكانية توظيف هذه المساجد في التعليم والصحة والاجتماعات يمكن أن تقلل كثيرا نسبة الإنفاق والبناء، ويصحب ذلك بالتأكيد تقليل الضغط على الموارد الطبيعة والمالية والتأثير الإيجابي على البيئة والتغير المناخي.

٦- أفادت تجربة وباء كوفيد ١٩ في إنشاء بدائل وأفكار واقتراحات لتجنب الوباء والتلوث، مثل التحول في الصلاة الإسلامية إلى المقاعد بدلا من هيئتها الحالية التي تسبب التلوث والعدوى بالأمراض والأوبئة. ويمكن البدء بتسجيع التوسع في استخدام المقاعد للصلاة، ويلاحظ في الأردن أن ظاهرة الصلاة على المقاعد في المساجد تتزايد.

٧- يشكل الصيام الإسلامي فرصة لترشيد الاستهلاك وتقليل الهدر والإنفاق، لكنه تحول واقعيا إلى مهرجانات احتفالية تهدر الموارد والأوقات وتعطل العمل والإنتاج، فتتحول بذلك الطقوس الدينية إلى تحدي بيئي وإنتاجي.

وإذا أمكن تخفيض كميات الغذاء والإنفاق عليه في شهر رمضان إلى النصف، فهذا يعني تخفيض الميزانية الغذائية السنوية بنسبة ٢ في المائة تقريبا، بافتراض نسبة ٨ في المائة شهريا وأن عدد الصائمين يساوي نصف المسلمين. فإذا كانت قيمة هذا التخفيض تساوي دولار واحد يوميا، ففي مقدور العالم الإسلامي أن يحقق في رمضان

وفرا ماليا يقدر بمليار دولار يوميا على مدى شهر رمضان، أي حوالي ٣٠ مليار دولار سنويا.

خاتمة

إن الخطاب الديني "الشريعة والفقه" في المجال العام والسلوك الاجتماعي والأخلاقي ليس دينا، بل هو معالجة منهجية للنصوص الدينية. أي أنه منتج إنساني يعكس الحالة العلمية والاجتماعية والاقتصادية لأتباع الدين والمؤمنين، وتعتمد فرص ملاءمته للبيئة والإصلاح على قدرة واستعداد المتدينين، ولا يحدث ذلك تلقائيا.

تجمع التقارير الدولية على تلازم الفقر والتلوث والمرض، وفي الوقت نفسه يصاحب الوفرة إفراط في الاستهلاك يضر البيئة. وليس متوقعا أن ينجح خطاب ديني ملائم للبيئة في مجتمعات فقيرة من غير الارتقاء الاقتصادي والاجتماعي في حياة وسلوك الفقراء، إن السلوك البيئي السليم ليس توجيهات أخلاقية وسلوكية مستقلة عن البيئة الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالناس. هنا يكون الخطاب الديني استجابة للتوقعات الإصلاحية التي تجترحها السياسات والمؤسسات والأنظمة العامة، ولا ينشأ الواقع بمجرد استجابة لتوجيهات أو شريعة دينية مستقلة عن هذا الواقع، إلا في حدود ومجالات محدودة. على سبيل المثال تنحسر عمليات تربية وتجارة الخنازير في المجتمعات الإسلامية.

ثمة حاجة إلى تأصيل فقهي وديني يدخل في مقاصد الفقه والتشريع وقواعده قيم السلام والعدل والحريات والمساواة والكرامة والتمكين والحياة الكريمة والتعليم والصحة والتكافل والسكن والمعرفة والماء والطاقة والغذاء ومهارات الحياة والفردانية والبيئة والمناخ والأرض والفضاء بما هي بيت الإنسانية بمفهومها الشامل المستقل عن الدين أو الجنس أو العرق أو اللغة، والإبداع والابتكار.

المصادر الأساسية

(٣) القرآن الكريم: الآية ٣٨، سورة الأنعام.

(٧) القرآن الكريم: الآية ٥٦، سورة الأعراف.

(٣٥) القرآن الكريم: الآية ٩، سورة الإسراء.

(٣٦) القرآن الكريم: الآية ١٠٦، سورة الأنبياء.

(٣٩) القرآن الكريم: الآية ٢٥، سورة الحديد.

(٤٠) القرآن الكريم: الآية ٩٠، سورة النحل.

(٤١) القرآن الكريم: الآية ١٦، سورة الحجر.

(٤٢) القرآن الكريم: الآية ٣٨، سورة الأنعام.

(٤٣) القرآن الكريم: الآية ٤٤، سورة الإسراء.

(٤٤) القرآن الكريم: الآية ٢٧، سورة البقرة.

(٤٥) القرآن الكريم: الآية ٥٧، سورة الأعراف.

(٤٦) القرآن الكريم: الآية ٥٦، سورة الأعراف.

(٤٧) القرآن الكريم: الآية ٣١، سورة المائدة.

(٤٨) القرآن الكريم: الآية ١٤١، سورة الأنعام.

(٤٩) القرآن الكريم: الآية ٤٩، سورة القمر.

(٥٠) القرآن الكريم: الآية ٧٩، سورة الأنعام.

(٥١) القرآن الكريم: الآية ٣٠، سورة الروم.

(٥٢) القرآن الكريم: الآية ١١٩، سورة النساء.

(٥٣) القرآن الكريم: الآية ١٩٠، سورة آل عمران.

(٥٤) القرآن الكريم: الآية ١٩١، سورة آل عمران.

(٥٥) القرآن الكريم: الآية ٩، سورة يونس.

(٥٦) سفر أشعياء، ٤٣.

(٥٧) القرآن الكريم: الآية ٣٢، سورة المائدة.

(٥٨) القرآن الكريم: الآية ٧٤، سورة الأعراف.

(٥٩) القرآن الكريم: الآية ١٢٥، سورة الشعراء.

(٦٠) سفر الخروج، ٢٣.

(٦١) سفر التثنية، ٢٤.

(٦٣) القرآن الكريم: الآية ٤٠، سورة هود.

(٦٥) القرآن الكريم: الآية ٥٨، سورة النساء.

(٦٥) القرآن الكريم: الآية ٣٠، سورة الأنبياء.

(٧٣) القرآن الكريم: الآية ٧١، سورة المؤمنون.

(٧٤) القرآن الكريم: الآية ٢٦، سورة ص.

(٧٦) القرآن الكريم: الآية ٤، سورة المدثر.

(٧٧) القرآن الكريم: الآية ٢٢٢، سورة البقرة.

(٧٨) القرآن الكريم: الآية ١١٠، سورة الإسراء.

(٧٩) القرآن الكريم: الآية ٤، سورة الحجرات.

(٨٠) القرآن الكريم: الآية ١٩، سورة لقمان.

(٨٣) القرآن الكريم: الآية ٦٢، سورة الأحزاب.

(٨٤) القرآن الكريم: الآية ٤٧، سورة يوسف.

المراجع

[١] تاكر، ماري ايفلين (٢٠٢٠) الدين والبيئة. فصل في كتاب المرجع في سوسيولوجيا الدين، كتاب أكسفورد. مؤلف جماعي، تحرير بيتر كلارك، ترجمة ربيع وهبة. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص ١٢٣٣.

[٢] المرجع نفسه، ص١٢٤٠.

[٤] قاسم، محمد جابر(٢٠٠٧) التربية البيئية في الإسلام. مجلة أسيوط للدراسات البيئة. العدد ٣١.

[٥] الغالبي، ناهدة جليل، وضرغام كريم كاظم (٢٠١٦) التلوث البيئي من منظور إسلامي، المواد الكيماوية نموذجا. مجلة جامعة أهل البيت، العدد ١٩، جامعة أهل البيت، كربلاء، العراق.

[٦] الشلش، محمد (٢٠٠٩)، رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة، دراسة في الواقع الفلسطيني، جامعة النجاح – فلسطين.

[٨] القضاة، علي (٢٠١٩) الهدي النبوي في حماية الماء من التلوث وأثره في المحافظة على البيئة، مجلة دراسات الشريعة والقانون – الجامعة الأردنية، العدد١.

[٩] محمد، نادي عبد الله (٢٠١٧) سلوك التعامل مع الماء في ضوء السنة النبوية المطهرة، حولية كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة.

[١٠] القرضاوي، يوسف (٢٠٠١) رعاية البيئة في شريعة الإسلام. القاهرة: دار الشروق.

[١١] العوضي، أحمد (٢٠١٨) قضايا البيئة في الفقه الإسلامي مؤتمر القانون والبيئة، كلية الحقوق، جامعة طنطا.

[١٢] جمعة، مصطفى (٢٠١٦) الإسلام والتنمية المستدامة، القاهرة: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٦.

[١٣] الجيوسي،عودة (٢٠١٣) الإسلام والتنمية المستدامة، عمان: مؤسسة فريدريتش ايبرت.

(١٤) أبوالنور، نسرين محمد صادق (٢٠٢١) دور الوعي الديني في حماية البيئة، دراسة ميدانية، مجلة كلية الآداب – جامعة بورسعيد، العدد ١٨

(١٥) الديانات السماوية والتغير المناخي (٢٠١٩). وجهات النظر اليهودية والمسيحية والإسلامية حول المبادئ الأخلاقية المشتركة، جامعة كونتكيت، رودس، اليونان.

(١٦)https://www.britannica.com/science/environment

(١٧) https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english-arabic/environmen

(١٨)https://www.britannica.com/search?query=pollution

(١٩)https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/pollution

(٢٠)https://www.britannica.com/science/climate-change

(٢١)https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/climate-change

(٢٢) تقرير الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (١٩٩٢) ريودي جانيرو. https://unfccc.int/sites/default/files/convarabic.pdf

(٢٣) تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية (UNDP) ٢٠٢٠، التنمية البشرية والانثروبوسين.

https://hdr.undp.org/system/files/documents/hdr2020arpdf.pdf

(٢٤) تقرير الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (١٩٩٢) ريودي جانيرو. https://unfccc.int/sites/default/files/convarabic.pdf

(٢٥) المرجع السابق نفسه.

(٢٦) تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية (UNDP) ٢٠٢٠، التنمية البشرية والانثروبوسين.

https://hdr.undp.org/system/files/documents/hdr2020arpdf.pdf

[٢٧] دروجر، اندري (٢٠٢٠)، تعريف الدين: مقابة علوم اجتماعية. كتاب أكسفورد - المرجع في سوسيولوجيا الدين، كتاب أكسفورد. مؤلف جماعي، تحرير بيتر كلارك، ترجمة ربيع وهبة. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص ٤٠٧.

[٢٨] المرجع السابق، ص ٤١٨.

[٢٩] تاكر، ماري ايفلين (٢٠٢٠) الدين والبيئة. فصل في كتاب المرجع في سوسيولوجيا الدين، كتاب أكسفورد. مؤلف جماعي، تحرير بيتر كلارك، ترجمة ربيع وهبة. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص ١٢٤٥.

[٣٠] تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية (UNDP) ٢٠٢٠، التنمية البشرية والانثروبوسين.

https://hdr.undp.org/system/files/documents/hdr2020arpdf.pdf

[٣١] المرجع السابق نفسه.

[٣٢] المرجع السابق نفسه.

[٣٣] المرجع السابق نفسه.

[٣٤] المرجع السابق نفسه.

[٣٧] الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (٢٠٠٤) الموافقات في أصول الشريعة، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٧-٩.

[٣٨] مجلة الأحكام العدلية، ١٨٧٦ -

/https://maqam.najah.edu/legislation/158

[٦٢] أبو يوسف (٢٠٠٩)، يعقوب بن إبراهيم الأنصار. كتاب الخراج. دار الجمل، ص ٥٧.

[٦٤] الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي (٢٠١٧) الأحكام السلطانية. دار الغد الجديد، ص٣٣٢.

[٦٦] المرجع السابق، ص ٣٣٧.

(٦٨) تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية (UNDP) ٢٠٢١ https://hdr.undp.org/system/files/documents/global-report-document/hdr2021-22overviewarpdf.pdf

(٦٩) أبو يوسف (٢٠٠٩)، يعقوب بن إبراهيم الأنصار. كتاب الخراج. دار الجمل، ص ٩٤.

(٧٠) المرجع السابق نفسه، ص ٩٧.

(٧١) المرجع السابق نفسه، ص ٩٩.

(٧٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٠٠.

(٧٥) مجلة الأحكام العدلية، ١٨٧٦ - https://maqam.najah.edu/legislation/158/ ، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٨١) الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي (٢٠١٧) الأحكام السلطانية. دار الغد الجديد، ٢٣٧.

(٨٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٩